النّقوش والعناصر الزّخرفية للعمارة الإسلامية
في الموصل إبّان العهد العثماني (الخانات أنموذجا)

د./ هشام سوادي هاشم
مساعد رئيس جامعة نينوى للشؤون العلمية
جامعة نينوى– العراق
dr_hesham71@yhoo.com

الملخص:

تشكّل النقوش والعناصر الزخرفية للعمارة الإسلامية في مدينة الموصل خلال العهد العثماني حلقة من سلسلة متواصلة للتطور المعماري في المنطقة. ورغم ان لكل مرحلة خصوصيتها، إلاّ أنّ من يستعرض سلسلة التواصل المعماري يلاحظ الوحدة والتواصل والانسجام الذي أملته عوامل جغرافية متعدّدة ناهيك، عن الموروث الحضاري للمنطقة إذا أصبحت العمارة الخدمية (الخانات) تشكّل أبرز العناصر المعمارية خلال العهد العثماني في الموصل.

كان العثمانيون سبّاقين في تطوير العمارة الإسلامية للخانات، بما أضافوا إليها من عناصر معمارية حملت بصماتهم عليها، كالتّصميم الهندسي والمعماري للخان ونمط البناء والمواد المستخدمة فيه والنقوش الزخرفية التي زينت عمائرهم. والتي كانت في معظمها عناصر معمارية إسلامية توارثها العثمانيّون من الموروث الإسلامي الذي سبقهم، وأضافوا إليه موروثهم المعماري وبالتّالي كان هذا التناغم المعماري مع ما سبقه صورة متأصّلة للفن الإسلامي والذي غدا رافد مهما للعمارة العثمانية لا سيما في مدينة الموصل.

تتكوّن هذه الدراسة من ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: يتناول نبذة مركزة عن الخصائص العامة للعمارة العثمانية في العراق عامة والموصل خاصة وسنركز فيها على الجوانب العمرانية لبعض المنشآت التي لا زالت قائمة في مدينة الموصل من ضمنها الطرز الهندسية وطريقة البناء والمواد المستخدمة فيه مع بيان أنواع النقوش والزخارف (الحيوانية والنباتية) الموجودة على المنشآت وستستند هذه الدراسة على المخلفات المادية وعلى الدراسة الميدانية لها.

المحور الثاني: فسيعالج معنى اللغوي والاصطلاحي للخان وأهمّيته بالنسبة لتجارة الموصل وسيتم التّركيز على عمارة الخانات وتخطيطها وأنواعها وتقسيماتها الحرفية وعوامل نشؤها وبيان أسباب اهتمام السلاجقة ومن بعدهم العثمانيين بهذا النوع من العمارة الخدمية. وسنتوقّف عند ثلاثة نماذج من الخانات لا زالت تحمل عناصر معمارية متكاملة هي خان المفتي وخان الكمرك وخان القلاوون.

المحور الثالث: في حين سيتطرّق هذا المحور عثماني إلى العناصر المعمارية التي شكّلت منها الخانات والتي كانت بعناصرها هي امتداد للفن المعماري العثماني حيث سنركز فيه على اهم النقوش والعناصر الزخرفية ومنها الجدران والمداخل والقناطر والحوش الخارجي (الفناء المفتوح) والأواوين والأروقة والنوافذ والسرداب والعقود وسطح البناء.كما سنتناول النقوش والعناصر الزخرفية بشقيها الحيوانية والنباتية واهم الأشكال التي كانت تعتمد في الرسم من اشكال النباتات والحيوانات كما سيتمّ التّطرّق إلى أهمّ مواد البناء وطريقة تعامل المعمار الموصلي معها لا سيما الحجارة.

الكلمات المفتاحية: النقوش؛ العناصر الزخرفية؛ العهد العثماني؛ العمارة الإسلامية؛ الخانات؛ الموصل.

قامت الخانات[1] بدور مهم في الحياة الاقتصادية لمدينة الموصل إبّان العهد العثماني لما كانت تؤدّيه من دور رئيس في العملية التجارية. فكل جزء منها – أي الخانات – صمم لكي يؤدي وظيفة معينة لها علاقة بتسهيل التجارة والقائمين عليها؛ لا سيما تلك التي تقع على طرق المواصلات، اذ كانت بمثابة محطات تقف عندها القوافل التجارية طلبا للراحة أو للمتاجرة خلال مرورها بها وقد وضع التصميم الهندسي للخانات بشكل يؤدّي إلى تقديم أفضل الخدمات للمسافرين وبضائعهم وحيواناتهم فهي عبارة عن بناء واسع ذات مدخل واحد أو عدّة مداخل، فيها ساحة وسطية (الحوش) غير مسقفة يحيط بها بناء يتألّف من طابقين، الطابق الأرضي يستخدم مربطا للحيوانات وأماكن لحفظ السّلع والبضائع، أمّا الطابق الثاني فيستخدم لأغراض السكن ومبيت التجار[2]. ولذلك يمكن تعريف الخان بأنّه ذلك البناء الذي يضمّ عددا من الحجرات والدكاكين والمستودعات لخزن البضائع يتوسّطه فضاء غير مسقّف[3]، ويضمّ مكانا للحيوانات ومعلفالها[4] بنيت الخانات في العهد والعثماني أمّا من بعض أهل الخير من المسلمين لإيواء المساكين والمنقطعين أو لإقامة الزوار وهم في طريق السّفر أو من بعض الأغنياء والميسورين لاتّخاذه موردا للرّزق والمتاجرة حيث تجري في الخان عمليات البيع والشراء[5]. وخلال العهد العثماني يمكن تمييز ثلاث أنواع من الخانات هي:

1- الخانات التي تقع في مراكز المدن والحواضر.
2- الخانات الموجودة في اطراف المدن والقريبة منها.
3- الخانات التي تقع على طرق القوافل التجارية.

تركز النوع الأوّل (وهو مدار بحثنا) في مناطق الأسواق وسط المدن، وتعدّدت اختصاصات هذا النّوع من الخانات؛ فكانت مكانا للمتاجرة ومأوى للتّجار والمسافرين ومخازن لبضائعهم وسلعهم. أمّا النّوع الثاني فلم تكن تختلف في وظيفتها ومهامها عن النّوع الأوّل إلاّ من حيث الحجم الوظيفي وحجم البناء وطراز عمارته وموقعه[6].

1- مفردها (خان) كلمة فارسية الأصل معربة ومشتقة من كلمة (خانة) أو خاقان (قاخان) بمعنى الحاكم الأعلى واستخدمت مقرونة باسماء بعض الحكام والسلاطين للزهو والتّضخيم أو أحيانا إشارة الى المتجر والمكان الخاص بالتجار ومحل اقامتهم وتجارتهم، أو للدّلالة على محط ومنزل المسافرين والقوافل التجارية؛ أنظر: زهير علي أحمد النحاس، النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين 1919-1939 (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995)، ص. 80.

2- هاشم خضير الجنابي ، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، (الموصل، 1982)، ص. 68.

3- النحاس، المصدر السابق، ص. 81.

4 السير واليس بدج ، رحلات في العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، ج2 ، (بغداد ، 1968) ، ص ص 121-122

5 ابراهيم الدروبي ، البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، (بغداد ، 1958) ، ص 394.

6 طارق نافع الحمداني ، ملامح سياسية وحضارية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، (بيروت، 1989)، ص ص 163-164.

اما النوع الثالث من الخانات فهي تلك التي تقع على طرق القوافل التجارية وازدادت اهمية هذا النوع من الخانات ابان العهد العثماني ، لا سيما ان هذا النوع قام بدور اقتصادي مهم ؛ اذ كانت الخانات بمثابة محطات تقف عندها القوافل التجارية لتأدية خدمات مختلفة تساعد على تسهيل السفر . فقد انشات في هذه الخانات اسطبلات تضم عددا من الدواب مهياة لاستبدالها بمثيلاتها . كما كانت هذه الخانات مكانا تتجمع فيه جماعات مختلفة من الناس و التجار و المسافرين لتتحول الى سوق تجاري تجري فية عمليات البيع والشراء ، ويتوافد اليها اهل القرى القريبة منها لتصريف بضائعهم الزراعية المنتجة او قد يتخذها بعض السكان مكانا يبيعون ما يحتاجه المسافرون ، يضاف الى ذلك ان المسافرين انفسهم كانوا يبيعون ويشترون ما يحتاجونه من البضائع مع السكان[1].

وفي مدينة الموصل كان لازدهار النشاط التجاري الذي شهدته المدينة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اثره الواضح في تنشيط بناء عدد من المرافق الحيوية في المدينة ، لا سيما الخانات التي كانت كما يذكر احد الباحثين "مراكز واسواق تجارية مهمة عكست الى حد كبير حجم تجارة المدينة[2] . وهذا ما يعكس حقيقة ان التوسع في عدد الخانات وتقلصها ارتبط الى حد كبير بالتطورات الاقتصادية التي تشهدها المدينة .وتعكس لنا المعلومات التي اوردها الرحالة الغربيون الذين زاروا المدينة في فترات مختلفة هذا الامر بوضوح؛ فالرحالة الفرنسي جان باتيست تافرنيه الذي زار الموصل سنة 1664 وصف المدينة با نها : " ..تكاد تكون برمتها خربة ليس فيها سوى سوقين معقودتبن ... وخانين حقيرين[3] ، اما مصطفى بن كمال الدمشقي الصديقي الذي زار المدينة سنة 1736 فيكتفي بذكر نزوله في خان التجار وهو خان "الاغا[4] .في حين قدر الرحالة الدنيماركي كارستن ينبور سنة 1766 عدد خانات المدينة بخمسة بخمسة عشرة خانا ، منها عشرة خانات كبيرة وواسعة وقد بنيت خصيصا لتوفير الراحة[5] . وفي نهاية القرن الثامن عشر ارتفع عدد خانات الموصل – حسب ذكر العمري – الى خمسة وعشرين خانا"[6]. ويبدو ويبدو ان بعض الخانات كانت صغيرة ولم تلفت انتباه اهتمام الرحالة في اوائل القرن التاسع عش، فقد يذكر الرحالة الفرنسي دوبريه (***A.Dupre***) وجود اثني عشر خانا في الموصل، يذكرمنها اثنين، وهما (خان المفتي) و (خان االعلوة) لكل منها ست وعشرين غرفة . ويستعملان ايضا لاغراض شتى ،

---

1 هشام سوادي هاشم ، المواصلات التجارية في العراق 1831–1914 (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل، 1997، ص 46 .

2 سعيد الديوه جي ، تجارة الموصل في اختلاف العصور ، ص 9 .

3 جان باتيست تافرنية ، العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، (بغداد ، 1944)، ص 58 .

4 خليل علي مراد ، "تجارة الموصل" ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد 4 (الموصل ، 1992) ، ص 271 .

5 كارستن نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود حسين الامين ، (بغداد ، 1956) ، ص 111 .

6 مراد ، المصدر السابق ، ص 271 ؛ محمد امين بن خير الله الخطيب العمري ؛ منهل الأوّلياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق : سعيد الديوه جي ، ج1 ، (الموصل 1967) ، ص 62 .

كاعتقال الغرباء وكمخزن لبضائع الكمارك التي تفرض عليها الرسوم[1] . في حين يذهب الرحالة الانكليزي وليم هود (**W.Heude**) سنة 1817 الى انه كان في المدينة ستة عشر خانا تفتح غالبا لاستقبال المسافرين، من بينها عشرة او اثنا عشر ضخمة البناء، وهي "مستمرة في تلبية أي طلب لراحة المسافرين بحسب العادات الشرقية"[2] .

اما سالنامات ولاية الموصل فتتضمن ارقاما تفصيلية عن اسواق الموصل وخاناتها التجارية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . فقد ورد في سالنامة الموصل لسنة 1894/1312 ان في المدينة ثلاثة وعشرين خانا و2677 دكانا ومحلا تجاريا[3]، ويرتفع الرقم في سالنامة الموصل لسنة 1907/1325م الى اربعة وثلاثين خانا و110 متجرا و2852 دكانا[4].

وارتبطت اسماء الخانات في العهد العثماني بمسميات مختلفة؛ سمي بعضها للدلالة على نوع نشاطها الخدمي والتجاري ؛وهذا ما نجده ايضا في خانات الموصل في العهد العثماني كخان التمر وخان النفط وخان ا للبن وخان الفحم وخان الغزل وخان السواد وخان الطمغة وخان الجلود . وسميت خانات اخرى للدلالة على اسم من انشأها مثل ، خان حمو القدو وخان المفتي وخان الحاج حسين اغا وخان الحجيات . او للدلالة على شخص بارز يعمل ويتواجد في الخان ؛ كخان الباليوز (القنصل) وعبو التتونجي . او للدلالة على قرب بعض الخانات من اماكن معروفة في المدينة مثل خان الكمرك القريب من دائرة الكمرك او خان الشط لقربه من نهر دجلة .كما سميت بعض الخانات باسماء بعض المهن الحرفية مثل ، خان الصقالين وخان القلاوين (الجبوقجية) وخان العلوة (الحنطة) وخان شريحة الكلاكين . في حين سميت بعض الخانات لملاصقة بعضها البعض مثل خان الجفت (الزوج) الصغير والكبير . وهناك ايضا خانات سميت للدلالة على الساكنين فيها كخان التلعفرية (نسبة الى الساكنين من اهالي تلعفر) واحيانا ترتبط اسماء بعض الخانات من خلال اجراءات تتخذها السلطات لتغير معالم الخانات كخان المقصوص الذي قسم الى نصفين ، بسبب فتح شارع جديد يمتد من باب الطوب الى باب الجسر القديم ، وكذلك خان الوقف الذي استحدثته دائرة اوقاف الموصل[5] .

---

1 عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي 1726–1834 ، (النجف ، 1975) ، ص 455 ؛ مراد ، المصدر السابق ، ص 271 .

2 رؤوف ، المصدر السابق ، ص 455 ؛ رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر ، ترجمة البير ابونا ، جملة بين النهرين ، السنة الثانية ، العدد 5 ، 1974 ، ص 84 .

3 موصل ولايتي سالنامة سي ، 1312 ، ص 26 ؛ مراد ، المصدر السابق ، ص 272 .

4 موصل ولايتي سالنامة سي 1325 ، ص 130 ؛ مراد ، المصدر السابق ، ص 272 .

5 النحاس ، المصدر السابق ، ص ص 80–81 .

- خانات الموصل (نماذج مختارة):

لاجل اعطاء فكرة عامة وشاملة عن اساليب العمارة الإسلامية للخانات في الموصل وبسبب وجود العشرات منها اختارت الدراسة ثلاثة نماذج من الخانات تعود فترة بنائها الى حقب زمنية مختلفة فضلا عن تكامل عناصرها المعمارية لدراستها ولتوضيح اهمية مدينة الموصل في عطائها الحضاري .

1. خان القلاوين : سمي بهذا الاسم لوقوعه في سوق القلاوين (الجبوقجية)[1] ، احد اسواق الموصل القديمة بموجب الحجة الوقفية العائدة للحاج عبد الرحمن الباججي التي يعود تاريخها الى 10 ربيع الأوّل 1257-1841 . وكان يسمى قبلها بخان الشبخون نسبة الى مالكه عبد الله الشبخون[2] .يقع الخان في وسط سوق الموصل ويطل على سوق العتمي ويحيط به من الشمال والشرق خان الكمرك ومن الجهة الغربية خان السواد وجامع سوق الحنطة (أنظر الشكل 1).

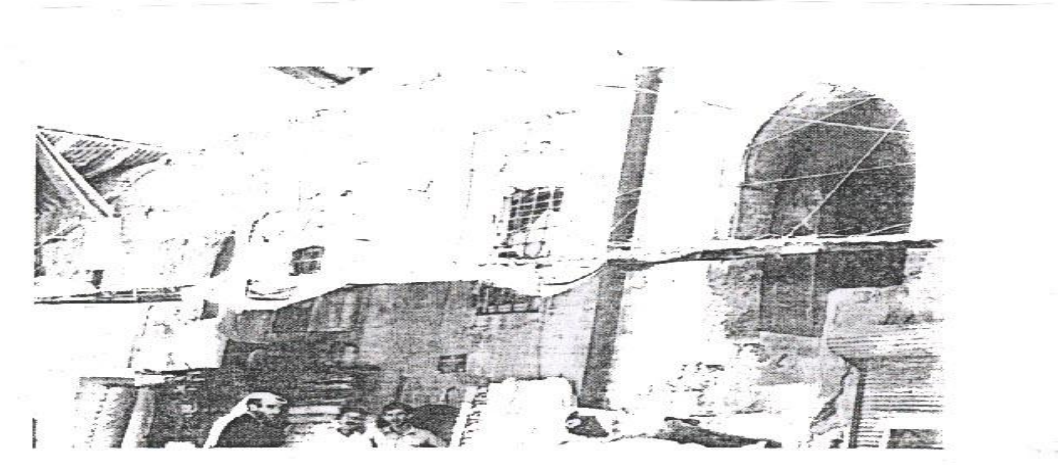

إعداد عبد الكريم الصائغ ويوسف ذنون، ج .2، (الموصل، 1992) ص. 56.

واشتمل بناء الخان على 28 غرفة و17 رواقا في الطابق العلوي و20 غرفة في الطابق الارضي مع حوش وقنطرة باب وخمسة سراديب ، وهي ميزة فريدة يمتاز بها خان القلاوين وبمساحة كلية بلغت 646.80 متر مربع[3] .

ويظهر لنا الوصف الهندسي للخان في طابقه الارضي يحيط بفناءه من جهاته الاربعة مجموعة من الغرف تتصل ببعضها بخزانات داخلية ، يعلوها سقوف مقببة وتحيط بابوابها وشبابيكها اطر من المرمر تعلوها اقواس خفيفة التحدب وابوابها من الالواح الخشبية المطرزة بالمسامير ذات الرووس

---

1 الجبوقجية صناع الجبق وهي من الكلملت الدخيلةوتلفظ جبغ وهي دارجة محليا بمعنى(ميس الحديد)ولعل هذه التسمية جاءت من كون الخان واقع في سوق الحدادين.

2 العمارة الخدمية في مدينة الموصل (نماذج من التوثيق العام) ، اعداد عبد الكريم الصائغ ويوسف ذنون ، ج2 ، (الموصل ، 1992) ، ص 52 .

3 المصدر نفسه ، ص 52 .

العريضة، أما طابقه العلوي فيتكون من مجاميع تقوم على إيوان تتصل به مجموعة من الغرف التي تحوي بعضها خزانات داخلية. (أنظر الشكل 2).

الجزء الشرقي من الخان من الجناح الجنوبي

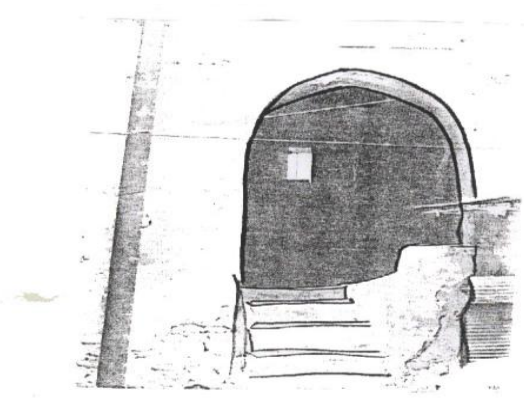

القوس المدب في مدخل الخان الجنوبي، العمارة الخدمية، ص. 54، 55.

ويتّصل بالاواوين الجنوبية مجموعة من الغرف الصغيرة تسمى (عليات) يصعد اليها بدرج يتصل بالاواوين ويعلوها سطح مقبب يبرز في سطح الخان (أنظر الشكل 3)[1] .

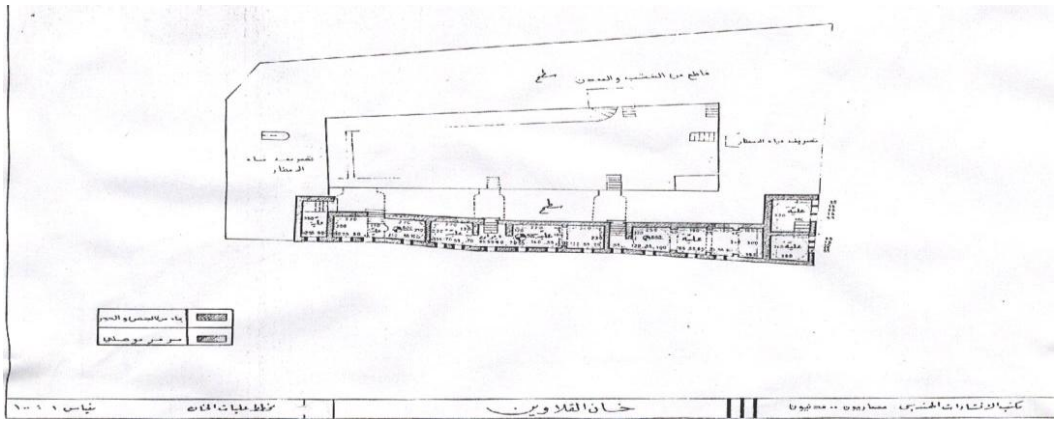

العمارة الخدمية، ص. 58.

1- المصدر نفسه، ص. 52.

وتنوع نشاط الخان تبعا لنشاط التجار الذين شغلوا غرفه باتخاذها مكاتب لتجارتهم التي تنوعت بين تجارة وتصدير المواشي والأصواف والحبوب والسمن وتجارة استيراد الصابون والحبال. وغالبا ما كانت تقام نشاطات تجارية عدة في هذا الخان يمتهنها مكتب تجاري واحد ، ويندر ان تكون هنالك تجارة متخصصة لنوع معين من السلع ، وهذا الشيء ينطبق على جميع التجار وبشكل عام .

2. خان حمو القدو: وهو من الخانات القديمة ويعود تاريخ بناءه الى سنة 1882 حيث تم تسجيله . وسمي بهذا الاسم نسبة الى بانيه الحاج عبد الله جلبي بن محمد عبد القادر ، احد ابناء الاسر التجارية المعروفة في الموصل وهي اسرة (حمو القدو)[1] ويعد من اكبر الخانات الموجودة حيث يشغل مساحة كبيرة تقدر بـ (3794) مترا مربعا[2] .

يقع الخان في محلة باب السراي ، ويحده من الشمال الطريق الموصل الى حمام الصالحية من سوق السراي ، ومن الجنوب الطريق المحاذي لبناية مصرف الرشيد ، اما من الشرق فيحاذي طريق الحصيرجية الذي يوصل الى حمام الصالحية ايضا ، اما من ناحية الغرب فانه يلاصق دكاكين سوق السراي[3] .

ويتكون الخان في الطابق الارضي من حوش واسع تحيط يه من جميع الجهات خمسة واربعين غرفة تحوي تسعة عشرة منها خزانات في كل غرفة مدخل من اطار مرمري بقوس خفيف التحدب وباب خشبي مصفح بالمسامير الحديدية المقببة. (أنظر الشكل 4).

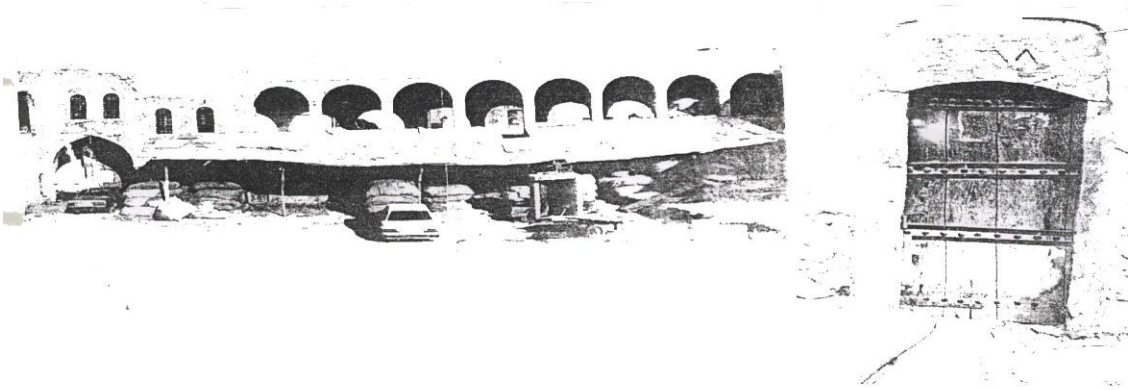

مدخل غرفة في الخان الواجهة الشرقية المطلة على حوش الخان؛ العمارة الخدمية، ص. 65، 66.

1 النحاس، المصدر السابق ، ص97 .

2 المصدر نفسه ، ص 81 .

3 العمارة الخدمية في مدينة الموصل ، ص 62 .

أمّا الطابق العلوي فيضم 52 غرفة و4 خزانات وخمسة اواوين وفسحة واحدة. ويختلف عن الطابق الارضي بوجود مجموعة من الاروقة في الاجنحة الشمالية والشرقية والجنوبية ذات اقواس جصيه مدببة في الجناح الجنوبي وأقواس نصف دائرية من الحلان في الجناح الشمالي والشرقي[1]. (أنظر الشكل 5-6).

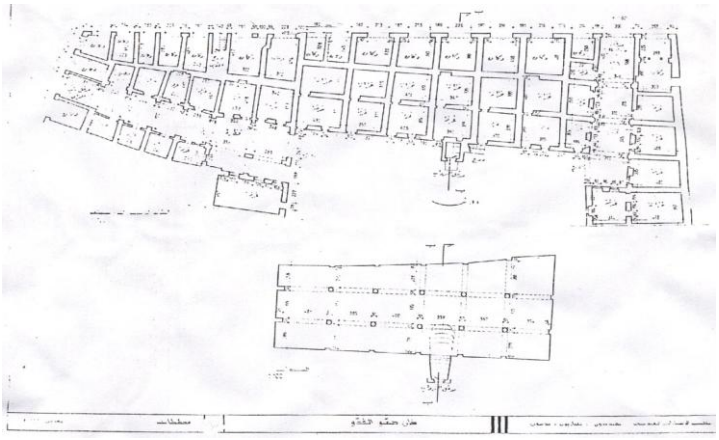

الشكل 5: العمارة الخدمية، ص. 69.

الشكل6: العمارة الخدمية، ص. 68.

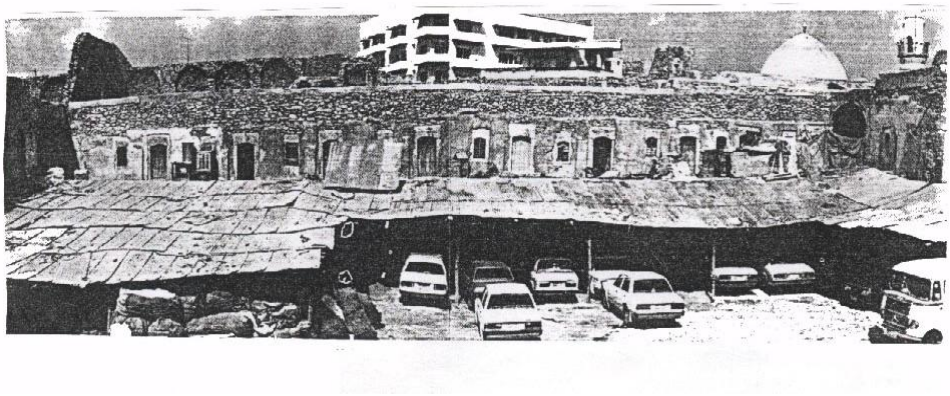

الواجهة الغربية المظلة على الحوش، العمارة الخدمية، ص. 56.

1 كاظم محمد كاطع الزبيدي ، العمارة الخدمية في الموصل في العصر العثماني ، (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1989) ، ص ص 58-59 .

وفي بداية انشاء الخان كانت القوافل التجارية تاتيه من المناطق الكردية في شمالي العراق وقوافل البدو من منطقة الجزيرة والقوافل التجارية التي تجوب المناطق المحلية باتجاه بغداد وحلب و المناطق القريبة من الموصل ، فكانت هذه القوافل تجلب اهم ما تشتهر به مناطقها من من المنتجات النباتية والحيوانية لغرض بيعها في اسواق الموصل وقد تستغرق عملية بيعهاعدة ايام، فيضطر اصحابهاالى التوجه بها الى الخان والحصول على احد الغرف في الطابق العلوي ، فيما يهيء الاسطبل لراحة حيواناتهم، وقد تحصل احيانا بعض عمليات البيع والشراء بين نزلاء الخان ذاته[1] .

3- خان الكمرك[2]: يقع الخان في سوق الموصل يحيط سوق تحت المنارة (جامع الاغوات)، والكوازين والحدادين من الشرق والشمال ومن الجنوب سوق العتمي وخان القلاويين ومن الغرب جامع سوق الحنطة[3] . وتبلغ مساحة الخان 2229.76 م[4] تم بناء الخان في حدود سنة 1702 وهو ملك للاخوة اسماعيل اغا وابراهيم اغا وخليل اغا ابناء عبد الجليل اوقفوه على جامع الاغوات الذي شيدوه في نفس العام[5] . ويبدو ان تشابهه تاريخ تشييد الجامع والخان يعود للتشابه الحاصل في عناصره المعمارية الرئيسة كالاقواس والعناصر الزخرفية الموجودة على المدخل والابواب[6] .ويتكون الخان من حوش واسع يتم الوصول اليه بواسطة مدخلين مقنطرين ويحيط به طابقان ارضي وعلوي ، ضم الطابق الارضي عشرين غرفة وعشرين خزان و19 دكانا واسطبلين وقنطرتين وحوش . اما الطابق العلوي فيشتمل على 44 غرفة و25 رواق[7] .

والحقيقة ان هناك مسالة جديرة بالاهتمام ان الخان اشتمل –حسب حجة الوقف –على مدرسة ملحقة به لتدريس العلوم الشرعية والمعروفة باسم (الخليلية) . واشترط اصحاب الخان ان يصرف "ما هو ربع خالص ملكهم وبيدهم وتحت تصرفهم وهو الخان المخصص للتجارة لمصاريف الجامع المذكور (الاغوات) ؛ للخطيب اربع صاغات عثمانية ، والامام ست وللمحفل وتلاوة القران عثماني واحد وللفراش والكناس وحمام القناديل والشمع عثماني واحد ، وللمتولي كل يوم 8 عثمانيات " وشرطوا ان يدفع ربع الخان"[8] .

على اية حال كان الخان يعج بالحركة والنشاط التجاري لكونه المركز الرئيس الذي ترد اليه انواع المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية من الباقلاء والعدس والحمص والقطن والسمسم والعسل والجبن

---

1 النحاس ، المصدر السابق ، ص 86 .

2 وهي كلمة لاتينية بمعنى الضريبة. العمارة الخدمية في الموصل؛ص40.

3 مديرية التسجيل العقاري ، اضبارة عقار .رقم التسلسل 964 ، سوق الموصل .

4 العمارة الخدمية في الموصل ، ص 40 .

5 مديرية التسجيل العقاري ، اضبارة عقار ، رقم التسلسل 964 ، سوق الموصل .

6 العمارة الخدمية في الموصل ، ص 40 .

7 مديرية التسجيل العقاري ، اضبارة عقار ، رقم التسلسل 964 ، سوق الموصل

8 النحاس ، المصدر السابق ، ص 84 .

والسمن والرز والفحم والصوف، وانواع الثمار المجففة من التفاح والرمان والعنب ، حيث تعرض على تجار الخان وكان لكل واحد منهم عملاء خاصون يترددون عليه من سكنة الاقضية والارياف . وفي الحوش كانت البضائع تكدس فيه. ونظرا لهذا لازدحام فقد طالب بعض التجار والمنتجين بتخصيص محال مستقلة لكل نوع . وكان القطن في سوق الغزل والعفص والجلود والاصواف وشعر المرعز في محل يختص بهذا النشاط والفواكه والبقول في محل اخر والفحم في منطقة بيع الاخشاب والاحطاب[1] .

- العناصر المعمارية:

تشكل حركة العمارة والزخرفة الإسلامية في مدينة الموصل خلال العهد العثماني حلقة من سلسلة متواصلة التطور المعماري في المنطقة ، وان أية دراسة لحلقة من حلقات هذه السلسلة يجب ان لاتتم بمعزل عن الحلقات الاخرى ،على الرغم ان لكل مرحلة خصوصيتها . فمن يستعرض سلسلة التطور المعماري في الموصل يلاحظ الوحدة والتواصل والانسجام الذي املته عوامل متعددة منها ؛ الظروف الجغرافية بما تضمنته من مناخ ومادة بناء، ناهيك عن الموروث الحضاري للمنطقة[2] .

بيد أنّه من الملاحظ على العمارة الإسلامية في الموصل؛ أنّ العناصر المبتكرة تضاف من مرحلة الى اخرى ، لذلك نجد ان الذي ما زال قائما منذ العهد العثماني وثيق الصلة بانماط العمارة التي كانت سائدة في العهود السابقة ولاسيما العهد السلجوقي . ولعل ابرز ما يميز العمارة الإسلامية في مدينة الموصل ابان العهدين السلجوقي والعثماني، التغيرات التي املتها اختلافات اغراض المباني ذات الطبيعة الخدمية ؛ ففي الوقت الذي كانت فيه الجوامع والربط والزوايا ودار الامارة تشكل العناصر الرئيسة في العمارة خلال العصر الإسلامي؛ اصبحت العمارة الخدمية (الخانات، الحمامات، الاسواق، ... الخ) تشكل أبرز العناصر المعمارية خلال العهد العثماني.

ويمكن لنا أن نشخص أهم العناصر الزخرفية والمعمارية للخانات في مدينة الموصل كالآتي:

- **الجدران:** ساهمت الظروف الامنية غير المستقرة في مدينة الموصل ابان العهد العثماني بسبب الاضطراب السياسي الناجم عن عدم وجود حكومات مركزية مسيطرة الى لجوء المعماريين السلاجقة ومن ثم العثمانيين الى اساليب متعددة لمراعاة هذا الامر في تخطيط الخانات وعمارتها ، بان جعلوها اكثر قدرة على حماية من فيها من المسافرين والتجار ، فاعطوها بعض خصائص القلاع ، اذ جعلوا جدرانها عالية وسميكة لا تسقط[3].

---

1 عادل نجم عبو ، "المنشآت المعمارية" ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج3 ، (الموصل ، 1992) ، ص 273.

2 برهان نزار محمد علي، عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طرق المزارات 1688-1895، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1976)، ص 134 .وللأستزادة عن حركة العمارة الإسلامية ودلالاتها يمكن الرجوع الى: احمد قاسم الجمعة ،"الدلالات المعمارية وتجذيرها الحضاري"،موسوعة الموصل الحضارية، ج3، (الموصل-1992)، ص_ص 319-340.

3 الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 59-61 ؛ العمارة الخدمية في مدينة الموصل ، ص ، ص 40 ، 52 ، 62.

ونلاحظ هذا الأثر بصورة واضحة في خان حمو القدو اذ بلغ ارتفاع جدرانه الخارجية حوالي 13 مترا لكنها خالية من لي تحصينات ما عدا المداخل الضخمة والابواب الكبيرة . في حين نجد ان جدران الخان الشرقية قد فتحت في اقسامها العليا ستة شبابيك تطل على الطريق ذات ابعاد متساوية قياسها (1.20 × 50 سم)، ويحيط كل شباك افريز من المرمر ينتهي من الاعلى بعقد نصف دائري ، كما فتحت في الجدار نفسه بعض الكوى الصغيرة موزعة في واجهة الجدار الخارجي . وقد صممت بشكل يسمح بادخال النور والهواء الى بعض الغرف دون دخول الامطار اليها . اما الجدار الشمالي فقد فتحت فيه من الاعلى خمسة شبابيك على غرار الجدار الشرقي من حيث القياسات والشكل (أنظر الشكل 7).

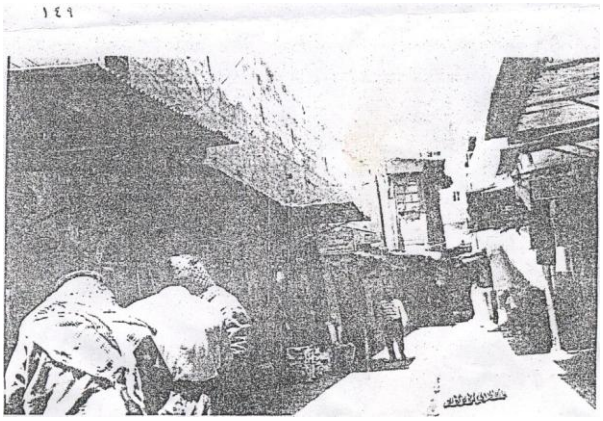

فتحات الشبابيك المطلة من الجانب الشمالي للخان، كاظم محمد كاطع الزبيدي، العمارة الخدمية غي الموصل في العهد العثماني، ص. 149.

في حين لا نجد في الجدار الجنوبي ما عدا بعض الكوى الصغيرة والتي عمل بعض منها على شكل حلقة دائرية من المرمر الأبيض ومثقوبة من الوسط (أنظر الشكل8)[1].

1 حميد محسن حسن ، البيت العراقي في العصر العثماني عناصره المعمارية والزخرفة ، (رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد 1982) ، ص 277 ؛ خالص الاشعب ، "الاثر الوظيفي في طراز البيت العربي" ، مجلة الكتاب ، العدد 8 ، اب 1975 ، ص 78 .

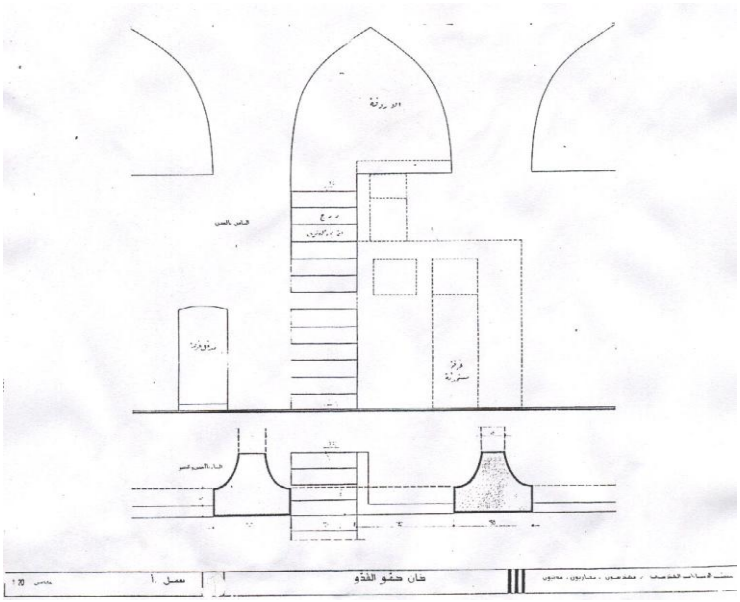

العمارة الخدمية، ص. 71.

– **المدخل والقنطرة:** يشكل المدخل واحد من العناصر المهمة في العمارة العثمانية ، وهو يختلف من حيث سعة والدور الذي يؤديه وموقعه لطبيعة مواد البناء التي كان لها دورها في تحديد شكله . ويتالف الخان عادة – سواء كان كبيرا ام صغيرا من باب خشبي في الغالب – يطل على زقاق ضيق وتعلو بعضها عتبات مستقيمة قوامها مجموعة من الاعمدة المدورة او المربعة التي تستند على كتفي المدخل وفوقها يبدأ البناء بهيأة صفوف . ويشكل هذا الامر نسبة اقل الى بقية الابواب التي تتوجها عقود ذات اشكال مختلفة (عقد مدبب، عقد نصف دائري ، عقد على شكل قطاع دائرة ... الخ) ، مع اختلاف المادة، بعضها تحف به وتعلوه زخارف هندسية او بناية البعض الآخر مجرد من الزخرفة[1] .

وفي الموصل سعى المعماريون الى جعل مداخل الخانات ضخمة ، كذلك صمموها بحيث توفر هذه الصفة . وجعلوها تبرز عن مستوى جدرانها الخارجية وتحف بها من الجانبين اواوين او دخلات صغيرة تزيد من ضخامة حجم المدخل ، فضلا عن الاطر والعقود والغرف التي تعلوها[2] . وهناك ظاهرة اسلامية اخرى تتعلق بمواقع هذه الخانات وهي توسطها للجدران التي تضمها وهي ظاهرة اسلامية بارزة في العمارة[3] .

أما القنطرة فهي بناء من الحجروالآجر يقام فوق الشارع ؛وفي مدينة الموصل كانت تتكون من عقود رخامية وآجرية يعقد فوقها سقف يستند عليها ،ويبنى فوقها على[4]رفا ومرافق ليوسع اهل الموصل دورهم في الطابق الثاني. وكثيرا ماكان اهل المدينة يبنون فوق القنطرة غرف الجلوس ويتخذون لها

---

1 علي ، المصدر السابق ، ص 136 .

2 المصدر نفسه ن ص 136 .

3 سعيد الديوه جي ،" البيت الموصلي " التراث الشعبي، العددالسادس، السنة السادسة،1975 ،ص 43 .

4 العمارة الخدمية في مدينة الموصل ، ص ص 40–41 .

شبابيك واسعة تشرف على جانبي الطريق.وبقدر تعلق الامر بالخانات نجد ان المدخل الجنوبي لخان الكمرك يتكون من قنطرة طويلة بشكل ممر يصل حوش الخان بالاسواق تعلوه اقواس مدببة ترتكز على تيجان محمولة على ازار مرمري ، ويصل بين الاقواس سقوف مقببة ، وفي هذه السقوف فتحات بشكل شباك صغير للاضاءة والتهوية وفي بداية الممر المدخل الرئيسة الذي يعلوه قوس مدبب والمدخل من حجر الحلان . اما المدخل الشرقي فهو صغير وبسيط على شكل قوس مدبب من المرمر يصل الى قنطرة صغيرة ايضا[1] . (أنظر الشكل 9-10).

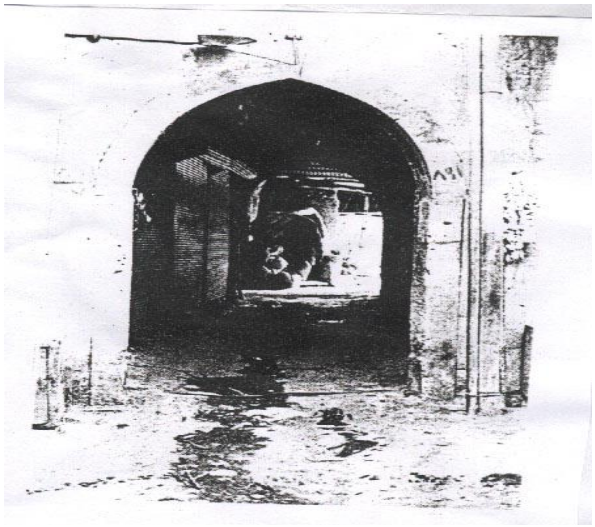

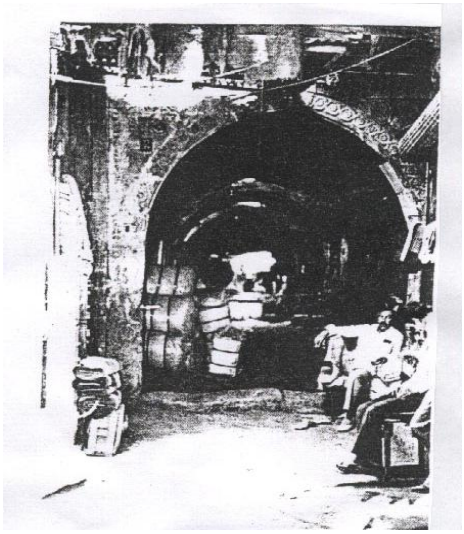

المدخل الشرقي للخان وتظهر فية القنطرة **المدخل الرئيسي الجنوبي**

العمارة الخدمية، ص. 43-44.

ويتكوّن المدخل في خان القلاويين من قنطرة خارجية واجهتها تبدا بقوس نصف دائري من المرمر مفتوحة على السقوق ، اما مدخل الخان فيتكون من قوسين مدببين من المرمر يعلوها سقف مقبب ويتم غلقه بباب خشبي محزم من الامام بأشرطة حديدية[2] (أنظر الشكل 11).

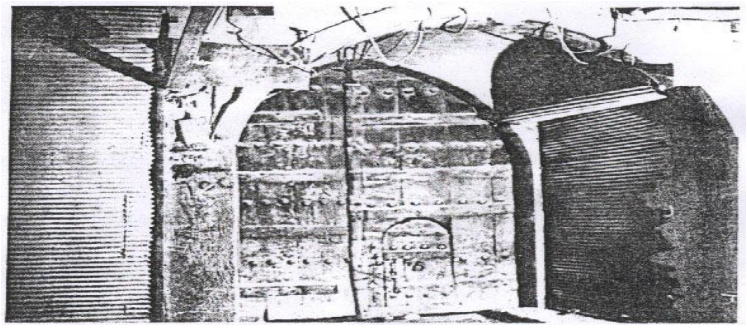

القنطرة ومدخل خان القلاوين، العمارة الخدمية، ص. 54.

1 المصدر نفسه ، ص 62 .

2 المصدر نفسه ، ص 52 .

في حين نلاحظ ان هناك ثلاثة مداخل لخان حمو القدو، فالمدخل الغربي كان على شكل قنطرة ذات ثماني مناطق بهيئة اقواس مرمرية مدببة ترتكز على اساطين مرمرية مكونة من قطع صغيرة ، يصل بينها عقود بيضوية قليلة الارتفاع، وفي نهاية القنطرة فسحة تفضي الى الحوش، تتصل مع القنطرة بواسطة قوسين بشكل نصف دائري. وتنتهي القنطرة بقوسين مرمرين مدببين، وقد استند الأوّل منهما بقوس مرمري نصف دائري (أنظر الشكل 12).

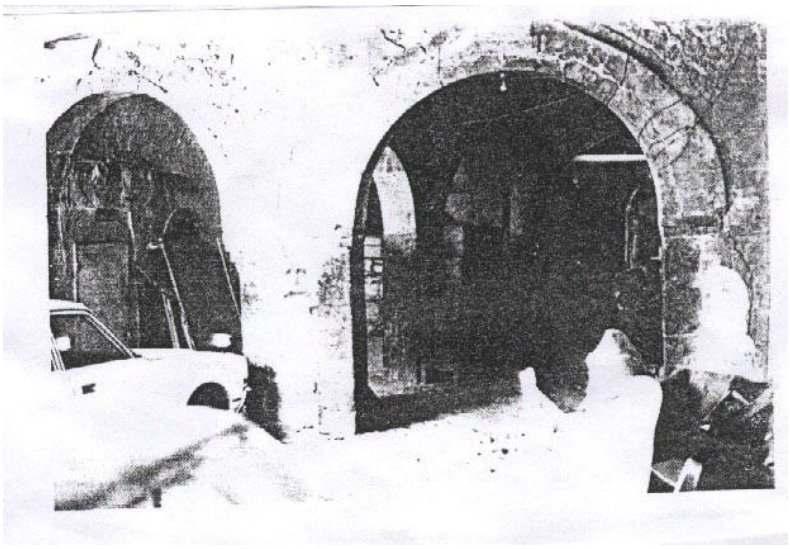

قنطرة المدخل الغربي من جهة الحوش، العمارة الخدمية، ص. 66.

في حين ان المدخل الشمالي يشبه المدخل الغربي، إلا أنه يختلف عنه بوجود اربعة اقواس في قنطرته فضلا عن عدم وجود الباب الصغير. وفتحة على الحوش مزورة (أنظر الشكل 13–14).

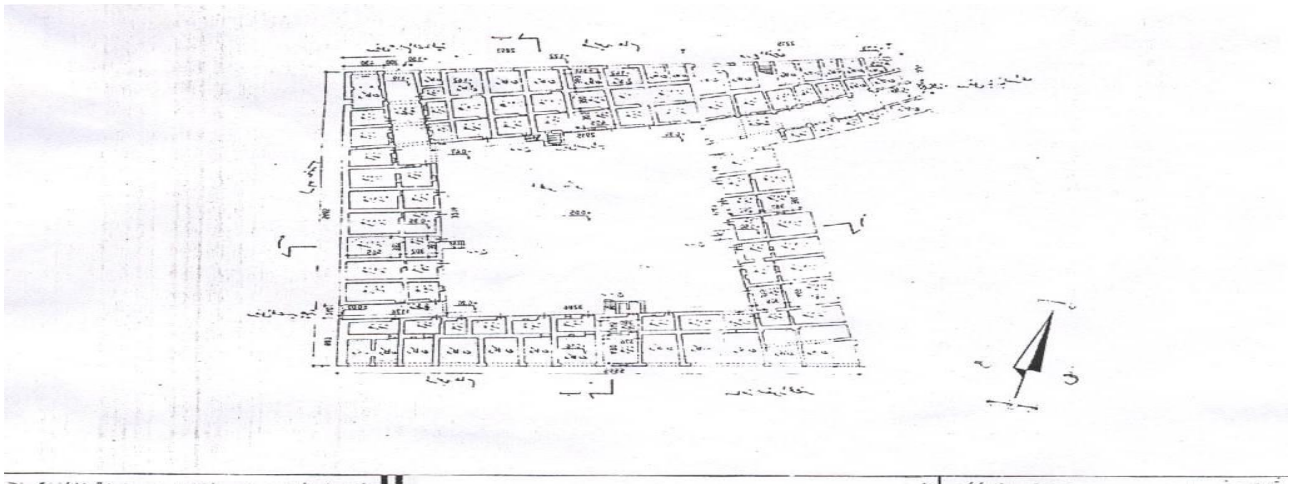

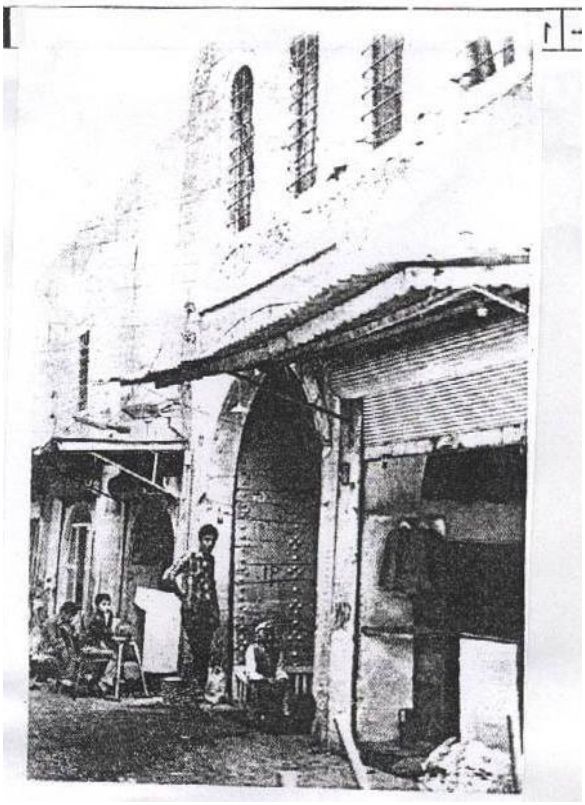

المدخل الشمالي للخان، العمارة الخدمية، ص. ص. 64، 67.

أمّا المدخل الشرقي فقد كان بسيطا يتكون من قوس مدبب من الحلان يؤدي إلى قنطرته[1]، (أنظر الشكل 15-16).

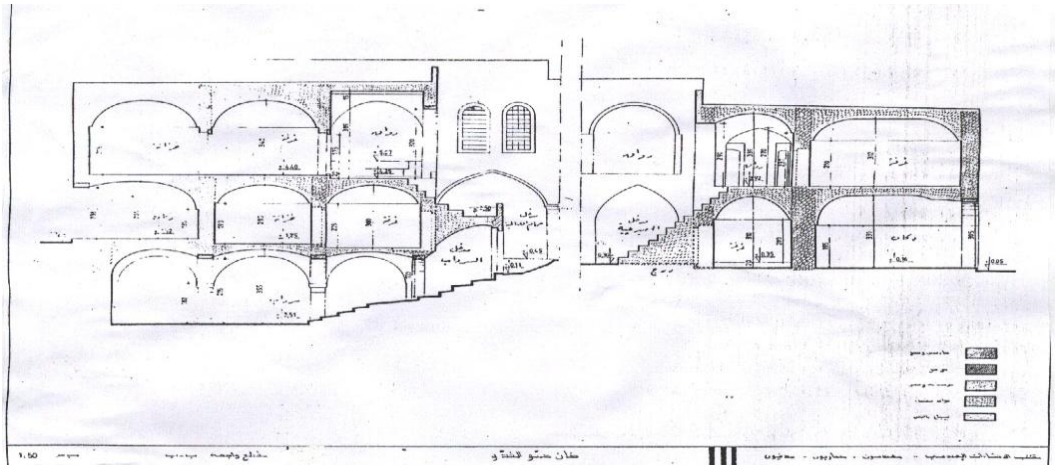

العمارة الخدمية، ص. 68.

1 حسن ، المصدر السابق ، ص 282 ؛ توفيق احمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، ج3، (القاهرة ، 1970) ، ص 191 .

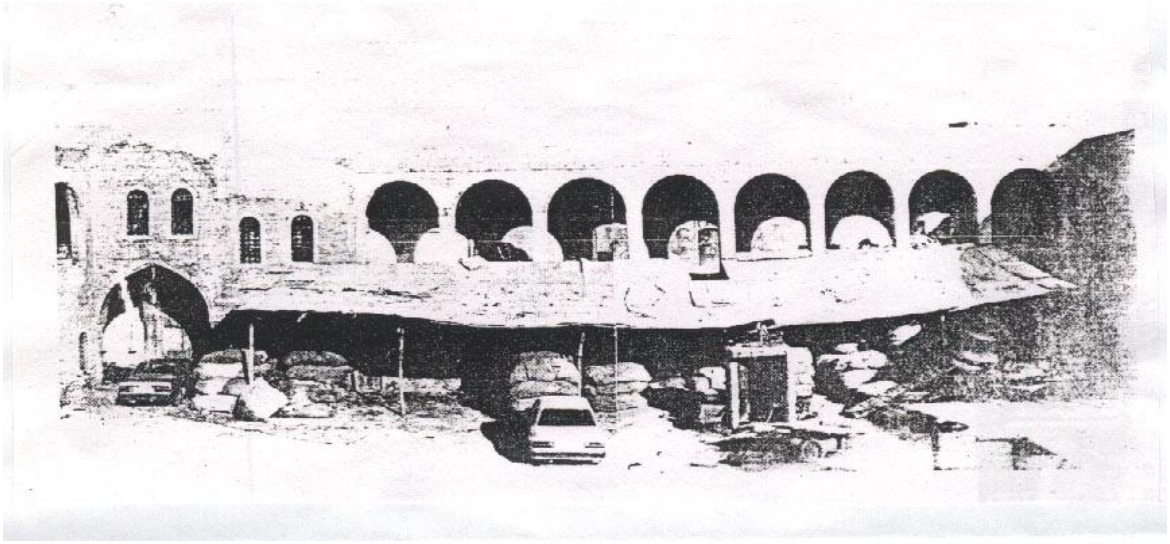

واجهة الخان الشرقية المطلة على الحوش وتظهر الاقواس، العمارة الخدمية، ص. 64، 65.

الحوش: يعتبر الحوش أو (الفناء المفتوح) من المميزات المعمارية البارزة في العمارة السلجوقية التي رافقت الكثير من المباني العراقية، كلقصور والمساجد والمدارس والخانات والبيوت، ويعد الحوش الوحدة الهامة والنواة الرئيسة لتصميم جميع العمائر على اختلاف انواعها. ويؤدي الحوش وظائف عدة منها: تلطيف حدة الضوء[1] وترشيح الهواء الذي كان غالبا ما يحمل الاتربة والغبار في معظم فصول السنة[2].

كما اعتبر المنظم الرئيس لدرجة الحرارة صيفا وشتاء. فأثناء الليل تنخفض درجة الحرارة فيبرد الهواء في الفناء، وعند النهار وبعد ارتفاع درجات الحرارة يتوزع الى الغرف والمرافق المحيطة بها[3]، اذ تركت الابواب والشبابيك مفتوحة لتيارات الهواء، وفي فصل الشتاء يحصل الدفء ، وذلك يمنع التيارات الهوائية بعد غلق النوافذ والأبواب[4]. وفضلا عن ذلك فان حوش الخان كان يدخله المسافرون ودوابهم لذلك اقتضت الضرورة جعله مكشوفا لأسباب صحية، ثم لا ننسى ان المسافرين غالبا ما كانوا يقومون باعمال الطبخ والتدفئة فيه[5].

وفي خانات الموصل نجد هذا الامر واضحا للعيان، ففي خان الكمرك شكل الحوش مساحة مفتوحة تكاد تكون شبه منحرف مبلطة بالحجارة المرصوفة (القادرم)، وتحيط بها الغرف من جميع

1- حسن، المصدر السابق، ص. 282؛ توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج. 3، (القاهرة، 1970)، ص. 191.

2- علي، المصدر السابق، ص. 139.

3- شريف يوسف؛ "البيت البغدادي القديم"، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس، السنة السادسة، 1975، ص. 19.

4- عبد الجواد، المصدر السابق، ص. 191؛ فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأوّل، (القاهرة، 1971)، ص ص. 29، 58.

5 علي ، المصدر السابق، ص. 139.

الجهات وفيه سبع سلالم تصل الى الطابق الأوّل والدخول اليه عن طريق قنطرة كبيرة من الجنوب بشكل ممر طويل واخرى صغيرة من جهة سوق تحت المنارة[1] (الشكل 17-18).

الواجهة الشمالية للخان وتظهر االقنطرة بشكل ممر طويل مطلة على الحوش

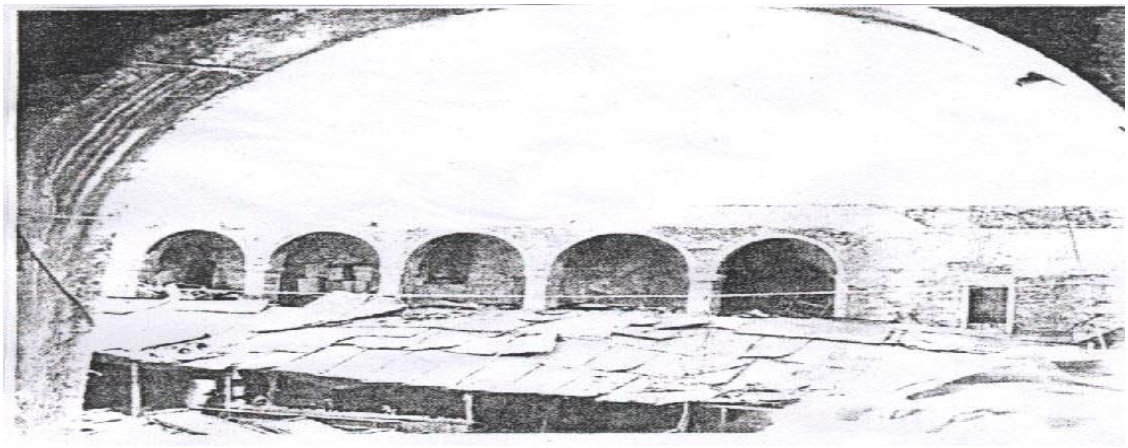

العمارة الخدمية، ص. 43.

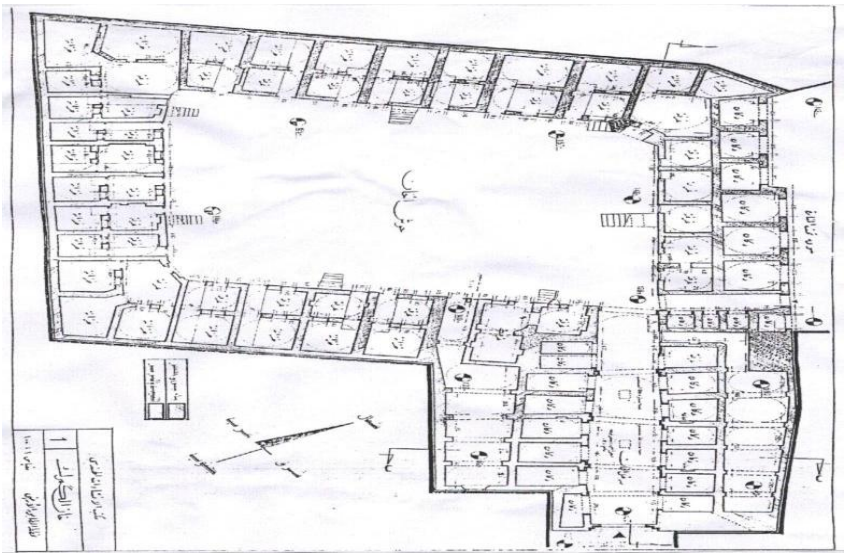

العمارة الخدمية، ص. 44.

أمّا خان القلاويين فمدخله يفضي الى فناء داخلي يتوسط غرف الخان وهو أقرب ما يكون الى المستطيل يتوسّطه منزال السراديب وتظهر في ارضية المبلطة بالحجارة المرصوفة (القادرم) الفتحات الست للسرداب بشكل شبابيك صغيرة مربعة للإنارة والتهوية[2] (أنظر الشكل 19).

1- العمارة الخدمية في مدينة الموصل، ص. 40.

2- المصدر نفسه، ص. 52.

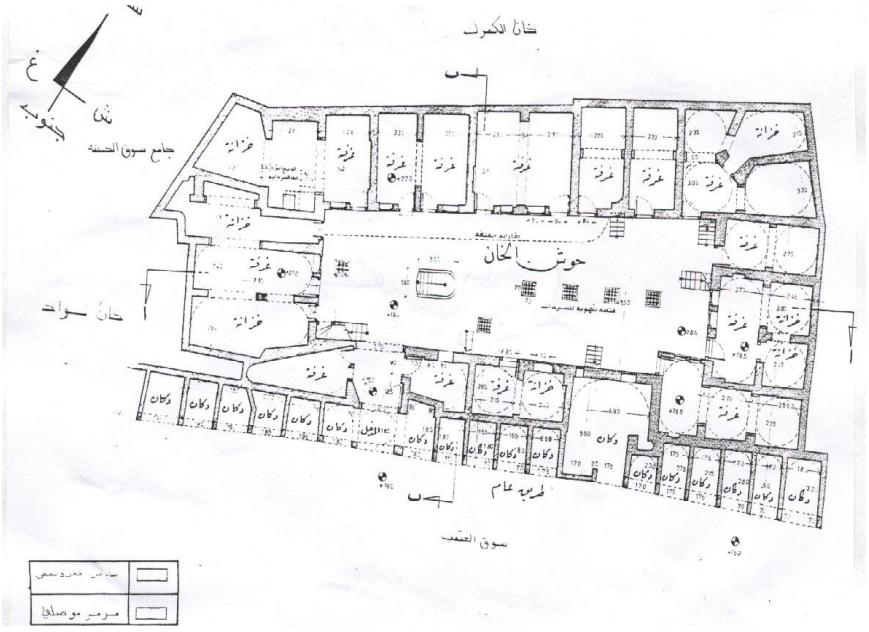

العمارة الخدمية، ص. 56.

في حين اتّخذ الحوش في خان حمو القدو شكلا مربعا وهو مبلطا بالحجارة المرصوفة[1].

– **الأواوين:** يمثل الايوان[2] احد العناصر المعمارية المعروفة في العهد العثماني والتي استمر استخدامه في الموصل في العهد العثماني ، حيث لم يقتصر استخدامه على القصور والدور بل تعداها الى المساجد والمدارس والخانات ،والحقيقة كانت الموصل من اكثر المدن العراقية تاثرا بهذا الطراز المعماري[3]، لملائمته مناخ المدينة والتشابه في طبيعة المواد الأوّلية ، ومنها انتقل الى بقية مدن العراق[4] .

وبسبب كون الحوش واسع ومكشوف اقتضى الامر بناء عدد من الاواوين تحيط به وتسخدم لإقامة المسافرين، وقد جعل المعمار الموصلي ارضية الاواوين مرتفعةعن الارض لكي لا تصلها

---

1 المصدر نفسه ، ص 62 .

2 الايوان وجمعه ايوانات واواوين ، وهو المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة جدران . وتعريفه المعماري ، وهو البيت المؤزج ، أي المرتفع البناء غير مسدود الوجه ، أي انه قاعة مسقوفة بقبوة ، مفتوح مقدمها على بهو بعقد مقوس نصف دائري او مدبب او منفوخ او منبطح مغلوق مؤخرها بجدار . انظر : لويس معلوف ، المنجد في اللغة والاعلام ، ص 23 ؛ احمد نكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2 ، ص ص 87–88.

3 وتمثل اواوين مدينة الحضر في القرنين الأوّل والثاني خير مثال على هذا النمط المعماري والذي وجد في معابدها وبيوتها ، ويشير الباحثين ان معبد الشمس اكبر ايوان كبير عرف في العراق قديما وحديثا وقد بني بالحجارة المهندمة . انظر : مصطفى جواد ، "الايوان والكنيسة" ، مجلة سومر ، المجلد 2 ، السنة 1961، ص 191 .

4 الديوه جي ، البيت الموصلي ، ص 54 .

الحيوانات ومياه الامطار، ولاجل ذلك وضع المعمار درجة صغيرة اسفل كل ايوان ليتسنى للمسافرين الصعود اليها[1] .

الأروقة والنّوافذ: يمثل الرواق احد العناصر الفنية المهمة المكملة لعمارة الخانات في العهد السلجوقي ، وتطل على الاروقة مجموعة من الاواوين تستخدم للاقامة وسقوف هذه الاروقة هي مجموعة من القبوات المتصلة المفتوحة في جزءها العلوي بنوافذ دائرية[2]، والاروقة عادة تكون مسقفة بعقود من الاجر والحجارة على هيئة قبو نصف اسطواني[3].

وتتمّ إضاءة الأروقة والأواوين بواسطة نوافذ وكوى مفتوحة في اعلى سقوف القباب والقبوات – كما مر اعلاه – وبذلك نجد ان النوافذ والكوى من العناصر المعمارية التي لأزمت بناء الخانات في الموصل خلال الفترة العثمانية وكان الغرض منها : ادخال الضوء والهواء الى داخل الاواوين الداخلية والاروقة من ناحية ، وتلطيف درجات الحرارة من ناحية اخرى – كما توجد تجاويف في واجهات الاواوين تستخدم لوضع المسارج والشموع لانارة الخان ليلا[4] .

– **السرداب:** يعتبر السرداب من مستلزمات السكن الضرورية في العراق خلال العهد العثماني والذي اقيم وفقا للظروف الجوية السائدة فيه ، اذ قلما يخلو بيت عراقي من سرداب او اكثر، وقد صمم – السرداب – بطريقة بحيث يدخل اليه الهواء البارد من الملاقف الهوائية التي اعدت لهذا الغرض . وتتم انارته عن طريق مجموعة من الشبابيك الكبيرة والصغيرة في واجهته والمطلة على الفضاء وفي بعضها على سطحه، اذ اتخذ في فناء السكن[5] .

وفي خان القلاويين يقع السرداب تحت الحوش ويتم النزول اليه بواسطة درج رئيس وسط الحوش مقابل المدخل، ومنه جزء يقع تحت الزاوية الشمالية الغربية من الخان ويتصل بدرج ثان يؤدي الى احدى غرف الطابق الارضي ، وقد سدت بعض مناطقه ووضع لها ابواب فاصبح وكأنه مجموعة سراديب ؛ اما سقفه فهو من العقد المرفوعة بواسطة اقواس نصف دائرية هي واعمدتها من المرمر وكذلك غالبية جدرانة مغلفة به ومثلها الارضيات، وتتم إنارة السرداب بواسطة فتحات على شكل شبابيك صغيرة تظهر في ارضية الحوش محمية بقضبان الحديد المتشابكة[6]. (أنظر الشكل20).

---

1 علي ، المصدر السابق ، ص 139 .

2 حسن ، المصدر السابق ، ص 296 .

3 علي ، المصدر السابق ، ص 140 .

4 المصدر نفسه ، ص 141 ؛ خالص الاشعب ، "الاثر الوظيفي في طراز البيت العراقي" ، ص 81 .

5 حسن، المصدر السابق، 299.

6 العمارة الخدمية في مدينة الموصل، ص 53 .

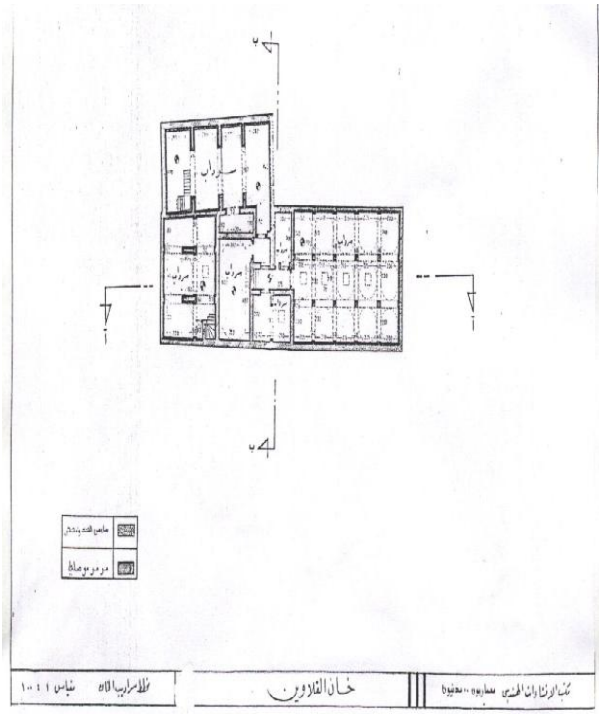

العمارة الخدمية، ص. 57.

أما في خان حمو القدو فالسرداب يقع تحت الجناح الشمالي وله مدخل يبرز وسط الحوش ومنه ينزل درج اقرب ما يكون الى المنزال ، لهذا يعتقد انه كان يستخدم كاسطبل لحيوانات القادمين الى الخان. ويتكون السرداب من ثلاثة صفوف من المناطق المستندة على اساطين مرمرية تحمل فوقها اقواس نصف دائرية من المرمر ايضا؛ وهي تتصل بالحيطان بدعائم مربعة ، وهو يضاء بواسطة اربعة شبابيك صغيرة باتّجاه الحوش[1]. (أنظر الشكل 21-22).

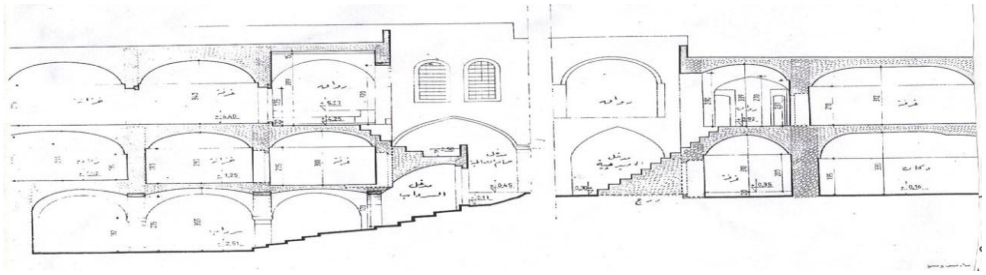

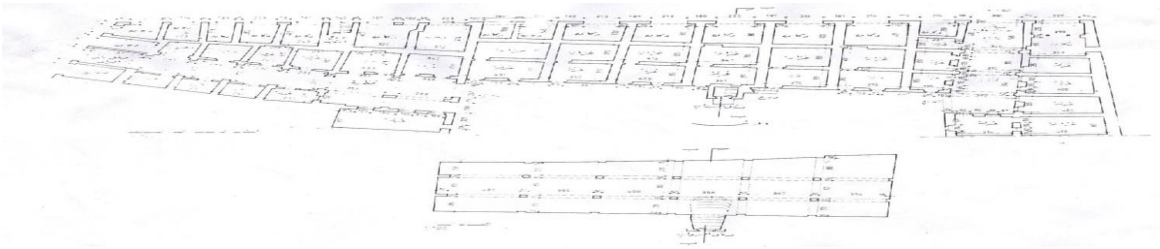

العمارة الخدمية، ص. 71-73.

1- المصدر نفسه، ص. 62.

– **العقود:** شكلت العقود عنصرا مهما في العمارة الإسلامية، اذ قلما نجد بناء خاليا منها في جميع انحاء العالم الإسلامي خلال العهود المختلفة. وقد ابتكر المعماريون اشكالا متعددة منها؛ العقد المطول، العقد المنفوخ، العقد المدبب، العقد الثلاثي، العقد الخماسي والعقد المقوص ... الخ.[1] واستخدمت جميع هذه العقود حتى بعد سقوط الدولة العباسية سنة 1258م.

وخلال العهد العثماني أضاف الموروث المعماري للدولة العثمانية الكثير من المميزات على نمط تصميم العقود وعمارتها ويمكن لنا ان نميز ثلاثة انواع من العقود وجدت في عمارة الخانات؛ أولها العقد المدبب المرتفع الذي يعلو فتحات الأواوين، والثاني العقد النصف دائري الذي يعلو مداخل الغرف الصغيرة والسلالم، وثالثها، العقد المقوص الذي نراه يعلو الباب الرئيس في مدخل الخانات وفي بعض الأواوين[1].

– **القباب– القبوات:** امتاز الطراز الإسلامي العثماني في البناء بنمط فريد في العمارة باستخدام القبة في العمارة والتي كانت على اشكال متعددة منها ما كان على شكل نصف كرة غير كامل بعضها كبيرة واخرى صغيرة[2]. وقد استخدمت القباب لتغطية المساحات المربعة بعد تحويلها الى اشكال مثمنة او دائرية بواسطة (المقرنصات)[3] الركنية ومن ثم تقام القبة على الجزء المحمول ، كما استخدمت القباب في تغطية الاروقة الداخلية للواوين والغرف، مما يعني تغطية المساحات المستطيلة الشكل[4].

– **السطوح:** لم يتقيد المعماريون السلاجقة في اختيار الشكل الهندسي لسطوح الخانات؛ بسبب تباين المناخ في العراق، فجعلوا منها ما هو مواز للارض ومزودا بمزاريب تمكنها من تصريف المياه المتجمعة على السطوح المستوية، ومنها ما هو مقبب تنحسر منه مياه الأمطار فتجمعه عند الحواف الى المزاريب[5].

– **العناصر الزخرفية:** تشكل الزخارف الفنية تكملة مهمة للعناصر المعمارية التي صاغت بناء الخانات ويمكن ملاحظة عدة انواع من الزخارف ومنها:

1. الزخارف النباتية: وهي التي تعتمد في رسمها ونقشها على عناصر النبات وأجزائه كالسيقان والأوراق والأزهار والأثمار بمختلف اشكالها او صورها سواء كانت بشكلها الطبيعي او محورة بهيئة رموز مجردة[6].

تميزت الطرز الزخرفية في العهد العثماني، بأنّها محورة عن الطبيعة، وهذا ما اعطاها ميزة خاصة، ومن ابرز النباتات التي جسدتها هذه الزخارف في العهد العثماني هي: السنبلة، القرنفل، الورد، عرانيس الكرم والرمان. وأصبح تنظيم هذه الرموز يعتمد على حد كبير على المقتضيات الانشائية، واصبحت عملية نقش الرخام ملائمة اكثر مع الهندسة المعمارية[7] وعلى ما يبدو فان انتشار الطرز الزخرفية العثمانية جاء بسبب السياسة التي اتبعها العثمانيون بنقل الصناع والحرفيون المهرة من الولايات العثمانية إلى العاصمة اسطنبول[8] وهذا ما يفسر كثرة استخدام الزخارف وتنوعها الكبير من حيث

1– فكري، المصدر السابق، ص. 35.

مواضعها واساليبها واشكالها، وهي تظهر العناية الفائقة والدقة التي بذلها النقاش في انجاز مثل هذه الاعمال المعمارية، سيما الزخارف الفنية[9] .

2. الزخارف الهندسية: ويقصد بها استخدام الأشكال الهندسية المستوية او المجسمة المرسومة بالمقاسات لعناصر ووحدات زخرفية مرسومة على التحف والمباني ايضا . وقد تمتزج الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية والحيوانية اوالكتابات المبالغ في زينتها واظهار عناصرها الجمالية بشكل اكمل[10] .

وتظهر هذه الزخارف في اطر وكوشات بعض الاواوين او المداخل والقباب وباطن القبوات والقباب والمحاريب . ومن جملة الزخارف الهندسية : النجميات والمضلعات والمعينيات والمستطيلات والحصيرية وزخارف تشبه مراوح النخيل . ومن الامور الهامة التي نلاحظها في هذا النوع من الزخارف هي مسالة التناظر والتقابل والتي تعد من ابرز مميزات الفن السلجوقي الإسلامي[11] .

3.الزخارف الكتابية: : ويقصد بها استخدام الكتابات القرآنية والابيات الشعرية والحكم والامثال على جدران الابنية وعلى الابواب والشبابيك وهو امر ابتكره الفنان المسلم حتى اصبح ميزة مهمة من مميزات الفن الإسلامي[12]. وشكل الخط العربي مادة هذه الزخرفة التي ورثها العثمانيون من السلاجقة وطوروها واضافوا اليها موروثهم الحضاري[13]. حتى ان احد الباحثين يذكر هذا الامر بقوله "... ان الخط العربي لم

---

1 علي ، المصدر السابق ، ص 139 .

2 زكي محمد حسن ، فنون الاسلام ، ص 154 .

3 المقرضات :وتسمى بالانكليزيةStalaetite التي تعني "ينقط" وتطلق إلى التحجر الذي ينشا على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة بفعل الترشيح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية . وفي الفنون الإسلاميةتسمى "الدلايات "وهي حليات معماريةتشبه خلايا النحل ترى في العمارة الإسلامية مدلاة في طبقات مصفوفةبعضها فوق بعض وتستعمل للزخرفة المعمارية او للتدرج من شكل الى آخر لاسيما من السطح المربع السطح دائري تقوم علية القباب وتعد من ابرز خصائص الفن الاسلامي.انظر، طاهر مظفر العميد؛"الفنون المعمارية في العراق"؛ في: العراق في موكب الحضارة ج4 (بغداد–1988)؛ ص208.

4 علي ، المصدر السابق ، ص 139 .

5 المصدر نفسه ، ص 134.

6 كاظم الجنابي، "حول الزخارف الهندسية الحضرية الإسلامية" ، مجلة سومر ، الجزء 1–2 ، المجلد 34 ، 1978 ، ص 143؛ احمد قاسم الجمعة :"الزخارف الرخامية "،موسوعة الموصل ،ج3،ص_ص341_348.

7 ارنست كونل ، الفن الاسلامي ،ترجمة احمد موسى،0(بيروت،1966) ص ص 169–171 .

8 زكي محمد حسن، فنون الاسلام ، ص 35 .

9 محمد عبدالعزيز مرزوق ؛ فنون الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، (القاهرة ، 1974) ، ص 38 .

10 الجنابي ، المصدر السابق ، ص 45 ؛ الجمعة ،الزخارف الرخامية،ص350,

11 علي ، المصدر السابق ، ص 143 .

12 زكي محمد حسن ، المصدر السابق ، ص 234 .

13 مرزوق ، المصدر السابق ، ص 234 .

ينل عند امة من الامم من العناية والتقدير بقدر ما ناله عند المسلمين عامة و السلاجقة والعثمانيين خاصة"[1] .

4. الزخارف الحيوانية: وهي تجسد صور الحيوانات والطيور والاسماك او اجزاء منها على هيئتها الطبيعية او محورة عنها[2] . وكان هذا الفن منتشرا بين الفنون الإسلامية في العهد السلجوقي وقد استمر استخدامها حتى مجيء العثمانيون الذين مازجوا بين الطرازين الإسلامي والبيزنطي بعد فتحهم للقسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح (1451-1481) عام 1453، حيث تاثروا بالتقاليد البيزنطية التي ورثوها واخذوا منها ليمزجوها ضمن اطر الفن الإسلامي[3] .

وبقدر تعلق الامر بموضوع الدراسة ، فلم نجد في الخانات التي درسناها الشيء الكثير عن العناصر الزخرفية وتفاصيلها ؛ ففي خان الكمرك مثلا ؛ فاننا نلاحظ ان الزخارف الهندسية والنباتية تجابه الناظر في المدخل الرئيس من الخارج، موحية بمكانة الخان الجيدة وابرز هذه الأشكال، النجمية والأشكال الزهرية، لا سيما زهرة الموصل (البابونج) (الشكل 23).

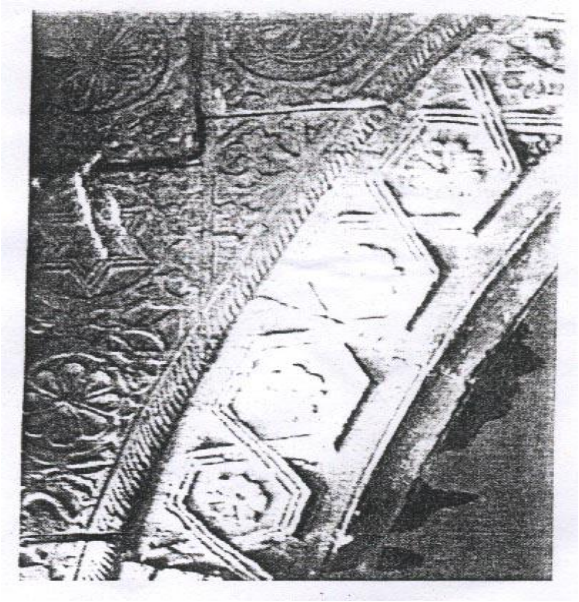

الزخرفة النباتية للمدخل الرئيسي للخان وفيها تظهر زهرة البابونج،
العمارة الخدمية، ص. 44.

1 المصدر نفسه ، ص 187 .

2 شافعي ، المصدر السابق ، ص 219 .

3 المصدر نفسه ، ص 153 .

في حين لا نجد اثرا للزخارف الكتابية الموجودة عادة على المداخل . ويبدو ان عمليات الترميم التي اجريت على الخان في فترات سابقة قد مسحتها[1] .

اما في خان القلاويين فنجد بعض العناصر الزخرفية في اطر بعض الابواب المرمرية وفي مواضع في الشبابيك تظهر ان التزين وجد في البناء الأوّل للخان واهمل في الفترات اللاحقة ، ولعل النصوص الكتابية التي كانت موجودة في مثل هذه الابنية قد ذهبت معها . لذلك نجده خاليا من الكتابات[2] . وهذا الامر نلاحظه ايضا في خان القدو ؛ في انعدام الاهتمام بالنواحي التزينية الزخرفية والعناصر الكتابية ما عدا الاطر البسيطة على المرمر[3].

– **مادة البناء:** تعتبر مادة البناء المستعملة في بناء الخانات من العناصر الضرورية اذ بدونها لا يمكن بناء أي خان صغيرا كان ام كبيرا وخلال العهد العثماني استخدمت مادتا الجص والحجارة بشكل رئيس في البناء . ويبدو ان السبب في ذلك يعود الى ان المنطقة الشمالية تتميز بكثرة الصخور وتنوعها . وكان اكثر الانواع استعمالا في المنشآت العمرانية هو الرخام ، الذي يكون لونه مائلا الى الزرقة الذي يسمى "المرمر" وهو سهل القلع ومطاوع للعمل ، وهذا ما جعل الناس في الموصل يفضلونه ويجعلونه مادة رئيسة في ابنيتهم[4] .ونجد هذا الامر جليا للعيان في الخانات الثلاثة ، اذ استخدمت هاتان المادتان في الجدران واضافة البياض الى الجص والخرشانة في العقد والاقواس الجصية . اما المرمر الموصلي فقد استخدم في الاقواس والتيجان والاعمدة واطر الابواب والشبابيك والطاقات والازر ، المغلفة لجدران المداخل وفي السراديب واواينها[5].

---

1 العمارة الخدمية في مدينة الموصل ، ص 41 .

2 المصدر نفسه ، ص 53 .

3 المصدر نفسه ، ص 63 .

4 سعيد الديوه جي ، "الزخارف الرخامية في الموصل" مستل عن كتاب فيضي عبد الرزاق/ "مراحل تطور المواد الانشائية في العراق القديم" ، مجلة دراسات الاجيال ، العدد 24 ، تشرين الثاني – كانون الأوّل، 1981 ، ص 217 .

5 العمارة الخدمية في الموصل ، ص ، ص ، 41 ، 53 ، 63 .

الخاتمة:

قامت الخانات بدور مهم في الحياة الاقتصادية لمدينة الموصل ابان العهد العثماني لما كانت تؤديه من دور رئيس في العملية التجارية . فكل جزء منها – أي الخانات – صمم لكي يؤدي وظيفة معينة لها علاقة بتسهيل التجارة والقائمين عليها ؛ كان لازدهار النشاط التجاري الذي شهدته المدينة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اثره الواضح في تنشيط بناء عدد من المرافق الحيوية في المدينة، لا سيما الخانات التي كانت "مراكز واسواق تجارية مهمة عكست الى حد كبير حجم تجارة المدينة. وهذا ما يعكس حقيقة ان التوسع في عدد الخانات وتقلصها ارتبط الى حد كبير بالتطورات الاقتصادية التي تشهدها المدينة. ولاجل اعطاء فكرة عامة وشاملة عن اساليب العمارة الإسلامية للخانات في الموصل وبسبب وجود العشرات منها اختارت الدراسة ثلاثة نماذج من الخانات تعود فترة بنائها الى حقب زمنية مختلفة فضلا عن تكامل عناصرها المعمارية لدراستها ولتوضيح اهمية مدينة الموصل في عطائها الحضاري.

والحقيقة أن حركة العمارة الإسلامية في مدينة الموصل خلال العهد العثماني شكلت حلقة من سلسلة متواصلة التطور المعماري في المنطقة، وأن أية دراسة لحلقة من حلقات هذه السلسلة يجب أن لا تتمّ بمعزل عن الحلقات الأخرى، على الرغم ان لكل مرحلة خصوصيتها . فمن يستعرض سلسلة التطور المعماري في الموصل يلاحظ الوحدة والتواصل والانسجام الذي املته عوامل متعدّدة منها؛ الظروف الجغرافية بما تضمنته من مناخ ومادة بناء ، ناهيك عن الموروث الحضاري للمنطقة.بيد ان من الملاحظ على العمارة الإسلامية في الموصل؛ أن العناصر المبتكرة تضاف من مرحلة إلى أخرى، لذلك نجد ان الذي ما زال قائما منذ العهد العثماني وثيق الصلة بأنماط العمارة التي كانت سائدة في العهد السلجوقي. ولعل ابرز ما يميز العمارة الإسلامية في مدينة الموصل إبّان العهدين السلجوقي والعثماني، التغيرات التي املتها اختلافات اغراض المباني ذات الطبيعة الخدمية؛ ففي الوقت الذي كانت فيه الجوامع والربط والزوايا ودار الامارة تشكل العناصر الرئيسة في العمارة خلال العصر الإسلامي؛ اصبحت العمارة الخدمية لاسيما الخانات تشكل أبرز العناصر المعمارية خلال العهد العثماني.

البيبليوغرافيا:

- إبراهيم الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد، 1958.
- أحمد قاسم الجمعة، "الدلالات المعمارية وتجذيرها الحضاري"، موسوعة الموصل الحضارية، ج. 3، الموصل، 1992.
- أحمد قاسم الجمعة، "الزخارف الرخامية"، موسوعة الموصل، ج. 3.
- إرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، بيروت، 1966.
- الجنابي هاشم خضير، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، الموصل، 1982.
- الديوه جي، البيت الموصلي.
- السير واليس بدج، رحلات في العراق، ترجمة فؤاد جميل، ج. 2، بغداد، 1968.
- النحاس زهير علي أحمد، النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين 1919–1939 (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995.
- برهان نزار محمد علي، عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طرق المزارات 1688–1895، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1976.
- توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج. 3، القاهرة، 1970.
- جان باتيست تافرنية، العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد، 1944.
- حميد محسن حسن، البيت العراقي في العصر العثماني عناصره المعمارية والزخرفة، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1982.
- خالص الاشعب، "الأثر الوظيفي في طراز البيت العربي"، مجلة الكتاب، العدد 8، آب 1975.
- خليل علي مراد، "تجارة الموصل"، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 4، الموصل، 1992.
- رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر، ترجمة البير أبونا، جملة بين النهرين، السنة الثانية، العدد 5، 1974.
- زكي محمد حسن، فنون الاسلام.
- سعيد الديوه جي، "البيت الموصلي" التراث الشعبي، العدد السادس، السنة السادسة، 1975.
- سعيد الديوه جي، "الزخارف الرخامية في الموصل"، مستل عن كتاب فيضي عبد الرزاق، "مراحل تطور المواد الانشائية في العراق القديم"، مجلة دراسات الأجيال، العدد 24، تشرين الثاني– كانون الأوّل، 1981.
- سعيد الديوه جي، تجارة الموصل في اختلاف العصور.
- شريف يوسف؛ "البيت البغدادي القديم"، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس، السنة السادسة، 1975.

– طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بيروت، 1989.
– طاهر مظفر العميد؛ "الفنون المعمارية في العراق"؛ في العراق في موكب الحضارة، ج. 4، بغداد، 1988.
– عادل نجم عبو، "المنشآت المعمارية"، موسوعة الموصل الحضارية، ج. 3، الموصل، 1992.
– عبد الكريم الصائغ ويوسف ذنون، العمارة الخدمية في مدينة الموصل (نماذج من التوثيق العام)، ج.2، الموصل، 1992.
– عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي 1726–1834، النجف، 1975.
– فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأوّل، القاهرة، 1971.
– كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، (بغداد، 1956.
– كاظم الجنابي، "حول الزخارف الهندسية الحضرية الإسلامية"، مجلة سومر، الجزء 1–2، المجلد 34 ، 1978.
– كاظم محمد كاطع الزبيدي، العمارة الخدمية في الموصل في العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989.
– محمد امين بن خير الله الخطيب العمري ؛ منهل الأوّلياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، ج. 1، الموصل، 1967.
– محمد عبدالعزيز مرزوق، فنون الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، القاهرة ، 1974.
– مديرية التسجيل العقاري، إضبارة عقار، رقم التسلسل 964، سوق الموصل.
– مصطفى جواد، "الإيوان والكنيسة"، مجلة سومر، المجلد 2، 1961.
– معلوف لويس، المنجد في اللغة والإعلام.
– موصل ولايتي سالنامة سي 1325.
– موصل ولايتي سالنامة سي، 1312.
– نكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2.
– هشام سوادي هاشم، المواصلات التجارية في العراق 1831–1914، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 1997.